

السؤال التاسع عشرة في تفسير قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

وليس نجد ، نحن ولا أنتم ، ما هنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به ، خلقه العبادُ إلا حركاتهم ، وليست تلك الحركات خلقاً لله ، جل ثناؤه ، ولا فعلاً ، ولو كانت الحركات خلقه وفعله ، لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه ، والمدعى لنفسه الأولاد والصواحب والأنداد ، والشركاء والأضداد ! .

ولو كان كما قلتم ، لكان القاتل لرسله والسافك لدمائهم ، والواضع للسيوف لهم في رؤسهم ، والقاتل للائمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين ، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر ، وجور في الأرض ، مما كرهه ونهى عنه ، وعابه وعنف عليه وأعدَّ عليه ، النيران والعذاب الاليم ، الذي لا انقطاع له ، وجعله ^(١) فيه من الاحكام في الدنيا من القتل والصلب ، وقطع الايدي والارجل ، وسائر الحدود ما عظم فيه النكال ، وجل عن كل مقال ، فتبارك الله أحسن الخالقين ؛ العدل الرؤف الرحيم البرئ مما قلتم ، والمتعالى عما إليه أسندتم .

أفيكون بهذا ، ويحك ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، من النكال في الدنيا والآخرة ، صفة من فعل شيئاً يقوم وأرادَه منهم ، وخلقَه من فعلهم ، وسمى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً ، وأنه لا يظلم ولا يجور ! .. فهذه صفة خالقك عندك وهذا تقديره وحكمته ! .. جل الله وتعالى ، وتقديس عما قلتم علواً كبيراً .

فان قلتم : إنه قال ، عز وجل ، في كتاب الله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ، فلذلك الزمناه خلق كل شيء .

قلنا لك : أيها المغرور في دينه ، الذي لم يلق العلماء ، ولم يغترف من عين الماء ، ١٢٥ و / إن القرآن عزيز مبين ، عظيم القدر ، واضح المنازل ، زاهى السراج ، وليس / هو بعجمي ولا غبي ، ولا خافى المعانى ، عن أهل العلم ، وأهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

(١) في الاصل : وجعله .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٠٢ .

من المجاز اللغوي :

ألا ترى أن العرب تقول : دخلنا السوق فوجدنا فيه من كل شيء ، وهم لم يجدوا فيه رسول الله ، ﷺ ، وهو من أعظم الأشياء...!

وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من أبائهم وإخوانهم ، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ، ولا نجوم السماء ، وهذه أشياء لم يجدوها...! فجاز ذلك في اللغة .

وتقول العرب : دعانا فلان إلى منزله فاطعمنا من كل شيء ، وهو لم يطعمهم لحم خنزير ، ولا لحم الأسود ، ولا لحم الإنسان ، ولا لحم الحيات ، فجاز ذلك في اللغة أنه أطعمهم من كل شيء ، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها...!

تعميم الخاص في اللفظة :

تقول العرب : من الخصوص في الكلام ما يجعله عاماً ، وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة ، وشاهد ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(١) ، والدليل على صدق قولنا كتاب الله ، عز وجل ، حيث قال في ملكة سبأ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) ، فنقول لكم : هل أوتيت شمساً وقمرأ ونجومأ وسماء وأرضا وجنة ونارأ...!؟ أو هل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ، أو لحية كلحية الرجل ، وهل أوتيت ولدأ من غير فحل...!؟ فكل هذه أشياء لم تؤتتها ، بإجماع الخلق كلهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، فيها : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) . وهذه أشياء كثيرة لم تؤتتها ، وكفى بهذا بياناً وحجة قاطعة لدعواكم .

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٤) ، إنما عني به مما خلق خاصة ، ولم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا إلفك ولا سائر المعاصي ، التي خلقها العباد وهو البرئ من ذلك ، عز وجل .

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

والدليل لنا على ذلك ايضاً قوله ، عز وجل ، ﴿ وَيَحَذِّرُكُمُ النَّفْسُ وَالنَّفْسُ رَءُوفٌ بِالْغِيَاذِ ﴾ (٣٠) .. فاخبر ان له نفساً ، عز وتعالى ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (٣١) ، فأجمل ها هنا أن كل نفس ذائقة الموت ، ولم يستثن نفساً بعينها ، فلو وجب ما قلتم في خلق الاشياء ، لوجب في النفس ها هنا ، مثل ما ادعيتم ! .. جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وقوله ، عز وجل : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣٤) تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (٣٣) ، ثم قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسَاكِينَ ﴾ (٣٤) ، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الاشياء ، لا كلها ، بعدما قال : « تدمر كل شيء » ، يعني ، عز وجل ، وما أرسلت عليه خاصة لا عامة ، ألا ترى أنها تدمر مساكنهم ، وأنها لم تدمر السماء ولا الأرض ، ولا الجبال ولا النبي هوداً ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا من كان معه من المؤمنين ، وأن الآية خاصة دون عامة ، وأن الآية توجب عليكم في / ١٢٥ ظ / قول الله ، عز وجل : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أنه يعني ، عز وجل ، مما خلق هو وصنع وابتدع ، لا ظلم الظالمين ، ولا جور الجائرين ، فجعل ذلك خصوصاً في خلقه المنفرد به لا عمومياً خلق غيره ، وعذب عليه فاعله . فهذا اكبر دليل ، وأوضح حجة ، واقطع لكل مفتر .

﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ .. ﴾ :

وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) ، فقالوا : انطقنا الله الذي انطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة ، وأراد الله ، عز وجل ، بهذا خاصاً دون عام ، لانه لم ينطق الجبال ولا الاشجار ، ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق ، وإنما هذا خصوص من دون عموم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الاحقاف : الآية ٢٥ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية نفسها .

(٥) سورة فصلت : الآية ٢١ .

مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك ، من حركات بنى آدم واعتقاد قلوبهم ، لا شئ غير ذلك ، ولا تجده أبداً ، لا أنت ولا أخوانك المهجرة ؛ لأنك سميت كفراً مخلوقاً ، لا حجة لك عليه ولا برهان ، إذ لا يدركُ ببصر ولا يلمس ولا يُحاط به بقطر ، حتى يُعرف ويميز خلق الله ، عز وجل ، من خلق بنى آدم .

فقد جاءك فى هذا من البيان والحجة من كتاب الله ، عز وجل ، ما فى أقل منه أكفى ^(١) الكفاية ، وجاءك من لغة العرب ما فيه البيان .

قال الشاعر ، يمدح رجلاً :

فلو كان للشكر حدٌ يحدُّ إذا ما تأملهُ الناظر
لصورته لك حتى تراه فتعلم أنى امرؤ شاكر ^(٢)

فقد علمت العرب أن ليس للشكر حدٌ يُدرك ، ولا صورة تنال ، حتى يعرف الشكر بتلك الصورة ، فلا حد له يوقف عليه ، غير حركات بنى آدم ، من شكر اللسان والمكافاة بالفعل الذى هو حركة أيضاً ، ولا يُعرف للشكر معنى آخر ، غير ذلك إلا اعتقاد القلب .

وكذلك الكفر مثله سواء ، وجميع الأفعال ، ولو كان الشكر الذى عنى ^(٣) الشاعر ، أنه يريد أن يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله ، عز وجل ، هو مخلوق ، لكان الله ، عز وجل ، هو الشاكر للملوك المشركين ، والكافرين المعاندين له بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، والعدو لا يشكر عدوه ، فى سبب من جميع الاسباب ، ولا يشكره على لسان غيره ، ولا يصح هذا فى العقول أبداً ، وكفى ^(٥) بهذا حجة .

إلا أن تقول ، أنت يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانك المهجرة : إن جميع

(١) فى الأصل : اكفا .

(٢) البيتان من بحر المتقارب .

(٣) فى الأصل : عنا .

(٤) سورة البقرة : الآية ٩٨ .

(٥) فى الأصل : وكفا .

ما سميناً من الشرك والكفر والفواحش ، والقتل والزنا والخنا واللواط والكذب ، والإفك وجميع الجور والظلم ، هو شئ مخلوق موجود ، إلا أنه لا تراه العيون ، ولا تدركه الحواس ، ولا تناله الجوارح ، ولا تلمسه الأيدي ولا تحيط به الاقطار .

فنقول لك عند ذلك : فإنه يلزمك فى هذا القول فسادان عظيمان ، وكفران اثنان ، فى كليهما بطلان دعواك ، وبيان كذبك ونقض فريتك وفضيحتك .

١٢٦ و / (١) أما أحدهما : فيلزمك أنك قد أثبت شيئاً لا تدركه الابصار ، ولا تلمسه الأيدي ، ولا / تقع عليه الخواطر ، ولا الأماكن ، ولا يُدرى ما كنهه ، فيبطل عليك قولك بالتوحيد ؛ لأنك قد أدعيت موحداً ...

(٢) ثانياً : فيه صفة معبودك الذى وجدته ، فزعمت أن هذا الآخر نظير له ، ونُدد لا تدركه الحواس ، ولا تناله الخواطر ، ولا تحويه الأماكن ، فيفسد عليك دعواك فى التوحيد ، وتكفر بهذا القول الذى وصفت به أفعال العباد .

يلزمك أنك قد وجدت شيئاً آخر ، غير الذى ليس كمثله شئ ، وكفى بهذا جهلاً وعمى^(١) وفضيحة ، على من زعم أنه يقول بالتوحيد .

لا توحيد بغير عدل :

وقد أعلمناك أن لا أقوام لقائل بتوحيد الله ، عز وجل ، ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل ، لأنه من زعم أن الله ، عز وجل ، فعل شيئاً مما كره ، أو خلق شيئاً مما عنه نهى^(٢) ، أو دخل فيما عاب ، أو عاقب على فعل نفسه ، أو غضب من إرادته ، أو عَنف أحداً على خلقه ، كان هذا غاية التشبيه .

وأنه لم يفرق بينه وبين خلقه ، وقد شبهه بالجائرين والجاهلين والعباثين ، والجورة المتعنتين والمفسدين ، وكم ينفعه ما ادعى من التوحيد ، ولم يستحق اسم موحداً لما قد قرنه به ، عز وجل ، من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين ، والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم فى العداوة للخلق ، وإرادة المعاصى منهم ، وحملهم على ما يهلكهم ،

(١) فى الأصل : وكفا .. وما .

(٢) فى الأصل : نها .

ويورثهم الخلود فى النار أبداً الأبد ، سبحانه الله العظيم رب العرش الكريم ، الحكيم العادل الرحيم عما قلتم ، وبه دنتم ، وفيه ناظرتم ، وبه إلينا كتبتم ، وعنه سألتكم ، وفيه لعنتكم .

فهذا جوابنا لكم ، فى نقض جميع ما قصدتم ، من الفرية على رب العالمين ، فصرتم له خصماء ، ولحزبه أعداء ، وعن طاعته عُنداء ، ولمن خالفه أولياء ، فالحمد لله ، الذى حجب الحق ، بشواهد العدل ، وأوضح القرآن ، وشافى البيان ، عن كيد الكائدين ومعاودة المعاندين ، وإلحاد الملحدين .

براءة يوسف من جهالات الجبيرة:

وأما ما ذكرت من يوسف النبى ، صلى الله عليه ، فإن يوسف لم يعص الله ، عز وجل ، ولم يهمل له بمعصية ، على ما ذهبتم إليه ، ولو كان همُّ له بمعصية . لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ، ما لا يزال يُقرأ أبداً ، حتى تنزل الدنيا ، وتزلف الآخرة من قوله ، عز وجل ، : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤) ﴿ (١) .

الصرافة:

وليس يكون المخلص ، من همُّ بفعل فاحشة ، والصراف من الله ، تبارك وتعالى ، وأنه يراه (من) الظلم ، وحمده على ما اختار ، ولم يجبره على اعتزال المرأة جبراً ، فلا يجب له حمد ولا أجر .

وليس لله ، جل ثناؤه ، يفعل فعل العباد من الطاعة ، ولا من المعصية ، ولا يجوز ذلك ، ولا يكون أبداً ولا كان فيما مضى (٢) ؛ لما فى ذلك من فساد الحكمة ، ووجوب القهر والختم .

وقد احتججنا عليك فى ذلك ، بما جزء منه فيه يكفى ، من عقل وأنصف ، وخاف

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : معنا .

عذاب الآخرة : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ
مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
۱٢٦ ط / لَمَّا يُرِيدُ (١٠٧) / وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ (١٠٨) ﴿^(١)﴾ ، فسعد من سعد باكتسابه ، وشقى من شقى
باكتسابه ، لا حتماً ولا جبراً .

قاعدة :

وقد قالت الحكماء ^(٢) : استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل ، إلا
من جهة الجبر ، جهل وبائن عن الصواب ، وكذلك استعمال الجبر فيما لا يدرك علمه من
دين الله ، عز وجل ، إلا من جهة النظر ، جهل وبائن عن الصواب .
فليتق الله من نظر في كتابنا هذا ، وليعمل الفكر فيه ، فإن الإقدام على النار ،
الخطر العظيم ، وما بعد الحق لا الضلال ، والله ولي المتقين .

التكليف قدر الطاقة :

ثم قال عبداً لله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن ذكر الله ، عز وجل ، في الكتاب
أنهم لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون ، أحق ذلك من الله ؟
فان قالوا : نعم . فقل : كيف وأنتم تزعمون أنهم يعلمون ما يعلم الأنبياء ، والله
يصفهم بغير ذلك ؟ ..

وأنهم إن قالوا : إنهم لا يدركونه إلا بالفعل حتى يفكروا .. فقل : أفليس توسعون
لهم حتى يكفروا ؟ .. وإلى أى وقت يفكرون ؟ .. كم هو ١٩ ساعة أم ساعتان ؟ ..
فإنهم لن يفيدوا لك أيضاً هذا ؛ لأنهم إن وسعوا له ساعة ، وسعوا له ساعتين أو
يوماً وسعوا له يومين ، وليس لهذا وقت عندهم .. وسيفرون من هذا الكلام ، واعلم

(١) سورة هود : الآيات ١٠٣ - ١٠٨ .

(٢) يعنى الفلاسفة المسلمين .. اهل النظر من المتكلمين .

أنك لن تسألهم عن شيء، أشد عليهم من هذا وأشباهه ، ولأنهم يقولون : لا يكلفُ الله الناسَ إلا ما يستطيعون .

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين :
إن الله ، تبارك وتعالى ، أعطى ^(١) خلقه الاستطاعة التي ركبها فيهم ، من الحواس الخمس ، والعقول التي بها يعرفون الخير من الشر ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، ثم أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وافترض عليهم الطاعة ، وندبهم إلى الجنة وحذّره من النار ، وأحبّ لهم النجاة ، تخييراً لا قسراً ، ولا جبراً ، وكذلك حكمته في الأولين والآخرين ، أنه أمر تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فلم يقطع كرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم تقسر القلوب على طاعته قسراً ، ولم يحملها على طاعة جبراً .

بل الواجب عليهم أن ينصتوا للرسل ، ولما جاءت به ، فينظروا بعقولهم في قولهم ، فيأخذوا الحسن ، ويتركوا القبيح ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ ^(٢) .

فلم يخرج في حكمة الحكيم ، أن يحمد أحداً من الخلق ، على فعله وخلقه هو ، وإنما حمدهم وأثنى عليهم بفعلهم ، ووجبت لهم الهداية منه ، أن سماهم مهتدين ، أى حكم لهم بالهدى ، وأسماهم به لا أنهم جبروا عليه جبراً ، فأى أجر لمجسور ، أو حمده لمكر ؟ ..

كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ ^(٣) ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ ^(٤) ، كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهر وجبر .

ولو كان كذلك ، لم يكن للأئمة الذين يهدون بأمره ثواب ولا حمد ؛ لأنه أكرههم

(١) في الأصل : أعطى .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ١٧ - ١٨ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤١ .

، ولا يكون على الأئمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولا ذم ؛ لانه أكرههم أيضاً وجعلهم دعاء الى النار ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤) .^(١)

٢- وأما قولك في التفكير : فلعمري لقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .^(٢)

والهداية من الله ، عز وجل ، لا تجب ولا تكون لكافر ، معرض عنه ، بعيد غيره ، وياكل رزقه ، ويجعل له الصواحب ، والاولاد والشركاء والاضداد ، فيجبره على الطاعة ، ويميل قلبه الى الهدى ، من قبل ان يكون هو الراغب فى الهدى ، والمقبل إلى الطاعة .

لان مثل ذلك مثل رجل وقع فى بئر ، فاشرف عليه الناس ، فقالوا له : اخرج . فقال : لست اخرج حتى تدلوا إليّ حبلاً اخرج به ، وإلا فلست اخرج ابداً ، وكذلك الكافر ، عندكم فى قولكم ، لا يخرج من الكفر ابداً ، حتى يجبره الله على الهدى ، أو يمده بالقسر والإكراه لقلبه ، وهو فى غاية الكفر ، وغاية الضلال ، والإعراض عن خالقه ، وهو غير مستوجب من الله ، عز وجل ، للرشد ولا مستحق للهدى ، ولا المعونة ولا الرحمة .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) .^(٣) ولم يقل إنها قريب من المشركين ، وقال : ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .^(٤) ولم يقل فسأكتبها للذين يشركون ، قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .^(٥)

فان قلتم أيها المجبرة : إن الكافر لا يقدر أن يخرج من الكفر ، حتى يكن الله ، جل ثناؤه ، هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ، ويجعل فى قلبه الهدى ، جبراً وإكراهاً . لزم فى المعقول انه لا حمد لمكره ، ولا لوم على عاص مدحوراً ..

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ .

(٥) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ - ٤١ .

ولم يكن لإرسال الرسل معنى ، ولا لإنزال الكتب بأمر ونهى ، وتحذير وتخويف ، وترغيب وحض وزجر . فلا معنى لذلك .

مقالة الأئم على رسلهم فى ضوء المفهوم الجبرى :

ولكان من حجج الأئم على رسلها ، أن تقول لها - حجة قاطعة تفلج بها الرسل :-

١٠ أيها الرسل إن أمرنا ليس فى أيدينا منه قليل ولا كثير ، لا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية ، ولا نملك لأنفسنا هدى ولا غياً ، فاذهبوا إلى ربكم ، فاسألوه أن يخلق سبيلنا ويجعل لنا طريقاً ، حتى نُسلم ونتبعكم .

١٢٧ ظ / فإنه ليس لقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠) ، معنى ، وقد علم / أنه قد حال بيننا وبين الإيمان ، وكذلك فلا معنى لقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ (٢) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (٣) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١٣١) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ ذَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) فقولا له قولاً لَبِئْسَ لَعَلُّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤٤) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ (٦) . فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل .

ثم قالوا لهم : فلا نجد لإرسالكم معنى ، وقد حال ربكم بيننا وبين الطريق ، ولم يوجدنا فسحة إلى سبيل ، ولم يرد منا أن نؤمن ، لانا إن آمنا ، كما قال غيرنا ، وكما قال كبيرنا عبد الله بن يزيد البغدادى - كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه ، وقد ذكر أنه قد أرسلك إلينا ، يا محمد كافة كلنا ، بعد ما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً ، على ما قال شيخنا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانه المجبرة !! ..

(١) سورة الإنشاق : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣١ .

(٥) سورة طه : الايتان ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سورة يس : الآية ١٤ .

فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان ، وتسفكون دماءنا ، وتغصبون أموالنا ، وذرارينا ، وليس نقدر على الإيمان بحيلة ، لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ، ولو آمنّا لبطل علمه ١٩ .

ثم نحن من بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم ، وهو الذى قضى علينا قتلكم ، وخلق فعلنا بكم ، وقدره علينا وأراد منّا ، ثم أنزل فى كتابه يعيرنا ويعنفنا ويعيب علينا قتلنا لرسله ١١ .

ويقول فى كتابه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(١) ، وبعد ما قال : ﴿ يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ^(٢) .

فلم عاب علينا قضاء الحق ، وكل شئ فى الأرض ، زعمت المجبرة ، بقضائه وقدره ، وفعل مخلوق لفاعله ، لاحيلة فى تركه ولا نقدر على الخروج منه ١٩ . فكيف تطلبون منا ، يا معشر الرسل ، ما لا نقدر على تركه ، ولا نقدر على الخروج منه ٩ . ونحن ، يا معشر العرب ، فيقول الشاعر منا الشعر ، فلا يقبل منه (معناً) ^(٣) و(لفظاً) ^(٤) لا معنى فاسداً ولا كاملاً مستحيلاً ، حتى يستقضى فيه ، ويبعد منه التناقض ، ويسقط شعره إذا أخطأ ، ويقدم عليه غيره من الشعراء .

فكيف نقبل منكم ، يا معشر الرسل ، كتاباً سماوياً - زعمتم - نجده نحن متناقضاً ، يفسد بعضه بعضاً ، فأنصفوا ، ففى النصفة تجب الحجة ، ويغلب الحق ، ويصح لنا صدقكم ، وتلزمنا طاعتكم ، وقد ذكر ربكم ، أيها الرسل ، فى كتابه أن قضاءه حق وأنه يقضى الحق ١١٩ .

ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ^(٥) ، فما هذا التخليط يا معشر الرسل ١٩ . اصحوا لنا رسالتكم القويمة ، وحكمة ربكم العادل الحكيم ، الذى - زعمتم - فإذا صح عدل ربكم وحكمته ، عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب ،

(١) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٣) هكذا فى الاصل .

(٤) ليست فى الاصل .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

بيننا وبينكم ، وقام الحق ، وسقطت الدعوى الباطلة، من قولنا وقولكم ، يا معشر الرسل .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه ،

١٢٨و/ فما ترى قول عبد الله بن يزيد البغدادى ، وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج ؟ وما ردهم عليه ، وما ظنهم برد الرسل على الأمم . ما حجتهم عليهم فيما قالوا .. أترأه يقول : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ؟!! .

فإن قال : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ، واحتجت بالصواب ، كفر بالله العظيم ، وصح كفره ، وخروجه من فيه الإسلام .

وإن قال : إن الأمم قد كذبت ، ولم تحتج على الرسل بحق ، وأنها مبطلّة فى دعواها على الرسل ، رجع عن قوله ، وصح كذبه ، وبأن للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجتهم ، وبانت فضيحتهم ، وأنه يلزم المجبرة أن الذى ادعت باطل ، بصحة القرآن ، وأنه لا يتناقض ، وبطل دعواهم ، وأنه قد أكذب أهل مقالته ، وشهد عليهم بالكذب .

لم أخطأ المجبرة ،

وإنما جاء غلط عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانه من المجبرة ، وأعجابهم برأيهم ، من قلة علمهم بمعانى القرآن ، وجهلهم بالتأويل ، وتعلقهم بالمتشابه بصحة التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق ، وتصريف اللغة العربية وأنه لم يعرف الحقائق فى الكلام من المجازات ، ولم يأخذ الحق من معدنه ، وإنما دان بالتقليد ، وكذلك إن من تحته (كفروا) بتقليدهم له ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

أهمية المنهج اللغوى فى فهم القرآن ،

ونحن نسأله الآن : ما مخرج قول الله ، عز وجل حيث يقول : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١) ، وقوله : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٩

خَادِعُهُمْ ﴿١١﴾ هذا على حقيقته أم على مجاز كلام عربى يحتمل التأويل ١٩.

الحقيقة والمجاز:

فإن قالوا : إنه على حقيقة لا مجاز فيها ، ولا يحتمل التأويل ، لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزئ السفهاء ، ويسخر كما يسخر السفهاء ، ويخدع كما يخدع الضعفاء !.

وإن قالوا : إن هذا القول على مجاز الكلام .. قلنا له : هذا هو الحق ، وله تأويل جهلته ، وقد رجعت عن قولك ، وكذلك جهلت قوله الذى احتججت علينا به ، فى قولك : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا يَعْقِلُونَ ، وَلَا يَبْصُرُونَ ﴾ . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (١) ، له تأويل كما لهذا تأويل غلط فيه ، لأنهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون ، لسقطت عنهم الحجة ، كما سقطت عن الأطفال والمجانين ، إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب ، لا نذير للكتاب ، ولا تتفكر فى الصواب .

تأويل آيات الصفات الخيرية ،

ثم نسألك أيضاً عن اعتقادك فى التوحيد ، لأنك تقول : زعمت - أنك موحدٌ ، ومحالٌ ما أنتم كذلك !.

فنقول لك : ما قولك فى قول الله ، عز وجل : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَنِينِي ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .

(٤) سورة طه : الآية ٥ .

(٥) سورة غافر : الآية ١٥ .

(٦) سورة القمر : الآية ١٤ .

(٧) سورة طه : الآية ٣٩ .

(٨) سورة القلم : الآية ٤٢ .

١٢٨ / مَثُورًا ﴿٢٢﴾ (١)، وقوله / ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢٩) (٢)، هل هذا القول كله الذى نراه يلزم التشبيه على الحقيقة (و) لا تأويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام ، قول عربى يجب تأويله وإلا لزم التشبيه ١١٩.

فان قلت : إنه على الحقيقة لا تأويل له . لزمك التشبيه لخالقك ، وخرجت مما ادعيت من التوحيد ، الذى قلت به ، وفلجك المشبهة .

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام ، له تأويل فى اللغة العربية ، إذ لا يسعك غير ذلك ، وإن لا ، شبهت وكفرت .

قلنا لك : فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات ، اللاتى تعلقت بهن المشبهة ، تأويلاً فى العدل ، على الحقيقة والخروج من الجبر ، وأنها مجاز كلام لم تعقله أنت ، ولا إخوانك المجبرة ، ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله ، جل ثناؤه ، بالعدل ، فإن أنكرت التأويل حميةً وتعزراً ، أنكرت عليك المشبهة تأويلك فى التوحيد ، ولزمك مثل ما تدعى ، ولا مخرج لك من هذا الباب ، بحيلة محتال .

فكيف ما قلت فخذك الأسفل ، وحجتك الفاسدة ، والحمد لله رب العالمين .

فى التكليف وشرائطه ،

وأما قولك فى تكليف العباد ، فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ، ممن صحَّ عقله وبدنه ، وقد قسَّم الله ، عز وجل ، عليهم ، بفضله ، النعم التى تفضل بها عليهم ، فعلى قدر صحة العقول والجوارح والحواس ، يلزم التكليف .

ومن زال عنه شئ من ذلك ، كان التكليف على قدره ، وإن زال الأمر كله ، سقط التكليف كله .

والعجب لك ، لم سميت تكليفاً ١٢٠ . . وإنما أصل قولك أنهم جبروا جبراً ، وخلقت

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

أفعالهم ، والمجبور والمخلوق فعله ، ليس هو مثل المكلف ، الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وقد أعددت التفضيل لبعضهم على بعض ، واكثرت إعادة الكلام ، الذى لا وجه له ، ويجزؤنا فيه المعنى الواحد ، عن تكريره للمعاني ، التى تقتضى وجهاً واحداً .

وإنما مثلك فى كتابك الذى وضعته على أهل العدل ، وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ، ومنيتهم الأباطيل ، وأعلمتهم أن أهل العدل لا يقدرّون لهم على دفع ، ولا كسر حجة ، وفى كل مسألة ^(١) تقول إن أهل العدل يفرون عن كلامك هذا ، وأنتم تقطعونهم من هذا الموضع ، وهذا من أشد ما تسألون عنه . . . فكان مثلك فى ذلك مثل زق منفوخ لا شئ منه ، إلا الرياح ، ثم عمد إليه رجل بإبرة فمخرقه بها ، فانفش جميع ما فيه ، والحق فأجل وأشرف من أن يخفى ^(٢) على العقلاء ، وأهل التمييز والنظر ، وقد ردنا عليك من الحق ، ما فيه الشفاء لكل مسلم .

١٢٩و / ثم نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ (١) قَيِّمًا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنْذِرَ الْمُؤْمِنِينَ / الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَيْفَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ (٣) . . .

فنقول لك يا عبد الله بن يزيد البغدادي : إن هذه الكلمة خلق الله ، عز وجل ، وصنعه ، وإرادته أم لا ١٩ .

فإن قلت : إنها خلق الله ، عز وجل ، صنع وإرادة . . لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته .

وهذا خروج من الحكمة ، ويجب أنه عذب على ذلك ، بعدما قال : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (٤١) ﴾ (٤) .

(١) فى الاصل : مسلة .

(٢) فى الاصل : يخفا .

(٣) سورة الكهف : آيات ١ - ٥ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

ثم نقول لك : وأخبرنا لم قال : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ ، مستعظماً لها ومستقبحاً ومستشنعاً ، وهو الذى خلقها وأرادها وصنعها ، أهكذا^(١) يكون الحكيم الذى لا يظلم ١١٩ .

وإن قلت : لا أقول ذلك ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا ..

ثم نقول لك : ما الفرق بين قوله فى عيسى ، عليه السلام ، أنه كلمته ألقاها إلى مريم ، وذكر فى كتابه أنه كلمة له ، خلقه وصنعه وأراده ؟

الكلمة (عيسى) بين مراد منها الله ومقالة الكفار :

والدليل على أن عيسى كلمته ، قوله ، عز وجل ، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ رَبِّهِ اسْمُ الْمَسِيحِ عِيسَى﴾^(٢) ، وقال أيضاً : ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(٣) ، فنقول لك : ما الفرق بين هذه الكلمة المعنى بها عيسى ، عليه السلام ، وبين الكلمة الكبيرة عند الله ، عز وجل ، التى خرجت من أفواه الكفار ، الذين قالوا : اتخذ الله ولداً؟! .

فإن أدعيت فرقاً بينهما ، غير أن الله ، فى زعمك ، هو الذى خلقهما وصنعهما وقدرهما وأرادهما ، لم تقدر على ذلك بحيلة محتال ، ولا بوجه من الوجوه ، لما زعمت إن الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الكلمتين وأراد المعنيين .

فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين ، أن القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، إنما غضب الله عليهم ، وعاب فعلهم ، وحكى^(٤) لنبيه ، صلى الله عليه ، عظيم كفرهم ، وأوجب عليهم فيه عظيم العذاب الاليم المقيم ، وأنه لم يكن فى خلقه لعيسى وجعله إياه كلمة ، غضب منها على أحد ولا عيب ، ولا استعظام ولا عذاب مقيم .

فكلاهما ، زعمت ، كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله ، عز وجل ، ووضعهما -

(١) فى الأصل : أهكذا :

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٤) فى الأصل : حكى

على زعمك - فعذب عباده على واحدة وغضب منها ، ولم يغضب من الأخرى ، ولم يعذب عليها ، وهما سواء في الخلقة والصنعة والإرادة ...! فإين العدل والحكمة ، والإرادة في هذا الباب ؟...!

بينه لنا وميَّزه ، إن كنت من الصادقين ، أوارنا الفرق بينهما ، إن كنت من المهتدين ...! ولا تجد فرقاً بين ذلك أبداً .

وهذه قاطعة لحجتك ومدحضة لقولك ، إلا أن ترجع فتزعم ، إن الكلمة التي غضبَ الله منها ، وعذب عليها ، إنها هي إرادة الكفار ، وقولهم باختيارهم ، لا صنع الله ، جل ثناؤه ، وإن عيسى كلمته وخلقه ، لا تباعة على أحد في ذلك ، وهذا هو ١٢٩ ظ / الحق ، وهو دين الله الذي / لا مخرج لمسلم منه ، ومن قال بغيره كفر ، ووجب عليه العذاب ، والحمد لله رب العالمين .

ثم نقول لك أيضاً : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، للكفار : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) ..^(١) فنقول لك : أرايت إن ردُّوا عليه فقالوا : ذلك بما خلقت من أفعالنا وأردته من كفرنا وقدرته وقضيته .. هل يكذبون في هذا الجواب أم يصدقون ؟ فإن قلت : إنهم يكذبون . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل . وإن قلت : إنهم قد صدقوا في هذه الدعوى ، في قولهم إن الله ، عز وجل ، خلق أفعالهم وقدرها وقضاها وأرادها .

قلنا لك : فقد أكذبك الله ، جل ثناؤه ، ووجدنا القرآن بشهد بخلاف ما قلت ، من إقرارهم على أنفسهم ، وإبرائهم لخالقهم وأضافتهم الظلم والمعاصي إليهم ، لا إليه ، عز وجل ، حيث قالها : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَسْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴿^(٢) ثم قال : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٤٩) ﴿^(٣) ، فعجب نبيه ، صلى الله عليه ، كما تسمع ما لهم عن التذكرة معرضين ...! لعلهم أنه لاحائل بينهم ، وبين التذكرة .

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٤٣ - ٤٨ .

(٣) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

فما تقول لو ردوا عليه فى هذا الموضع، حين قال لهم: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩). فقالوا: أنت بنا، لولاك لعرفنا رشدنا.. هل يصدقون فى الحجة أم يكذبون ١٩..

فان قلت: صدقوا.. لزمك أن حجتهم وحجتك، أقوى من حجة الله، عز وجل ١١!.. وإن قلت: كذبوا. رجعت عن قولك!

مثال لرجل لا قدرة له يعنى لا استطاعة له:

ثم نقول لك أخبرنا: ماتقول فى رجل من المسلمين خرج غازياً للروم فى بلدها، فحاربهم وقتاً، ثم إنه وقع فى أيديهم، فأخذوه أسيراً فوضعوه فى الحبس والحديد، فلما دخل شهر رمضان، عرضوا عليه الدخول فى النصرانية، والقول بأن المسيح ابن الله، فكره ذلك وامتنع عليهم منه.

فلما امتنع أخذوه، فربطوه فى الحبال، وغلوا يده إلى عنقه، ثم أخذوا المغررى الذى يعنى الصبيان، وهو المسعط^(١) فى لغة العرب، وأجروه^(٢) الخمر كرها، وهو مضجع^(٣)، لا حيلة له فى نفسه، ولا دافع عنه، ثم جعلوا يسقونه إياه، وكذلك ودك^(٤) الخنزير، فلم يزل على ذلك سنة على تلك الحال، حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد أطلقوه.

فنقول لك، ولن قال بقولك: أليس قد علم الله، عز وجل، أنه قد فعلوا به ذلك الفعل، فأكرهوه على شرب الخمر، وودك الخنزير، حين أوجروه إياه كرها، وهو لا حيلة له فى نفسه ١٩..

فإذا قلت: نعم، قد علم الله ذلك منه ومنهم.. قلنا لك: فهل على هذا الرجل الله، عز وجل، فى ذلك الذى أكره عليه، حجة أو تباعة.. أو هل يجب عليه عذاب أم لا ١٩.

(١) فى القاموس وعاء السعوط.

(٢) صبوا الخمر فى حلقه طبعاً.

(٣) ملقى.

(٤) سمن الخنزير.

فإن قلت : نعم عليه حجة وذنب ، وعذاب وتباعة ، كَذَّبَكَ جميعُ المسلمين ،
وخرجتَ من الحق والمعقول .

١٣٠ و/ وإن قلت : لا / حجة عليه ولا ذنب . قلنا لك : صدقت ؛ لأن الحجة
عليه ، فيما علم يقدر عليه .

مثال له عند القسرة يعنى عند الاستطاعة :

ثم نقول لك أيضاً : أرايت هذا الرجل بعينه شرب الخمر ساعة واحدة ، أو جرعة
واحدة بطيب من نفسه ، واتباع هواه ، أليس قد علم الله ، عز وجل ، ذلك من
فعله ؟

فإن قلت : لم يعلمه .. كفرت .

وإن قلت : إنه قد علمه .

قلنا لك : فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت : أنه لا يعاقبه .. أبطلت وعد الله ، عز وجل ، وخالفت المسلمين ،
وخرجت من الكتاب .

وإن قلت : أنه يعاقبه بشربه للخمر ، واتباع شهوته فى تلك الجرعة .

قلنا لك : فكيف يعاقبه فى شرب سنته كلها على ما شرب ، وصار فى بطنه من
ودك الخنزير ، ويعاقبه على شرب جرعة فى ساعة من نهار عمداً ؟!

فإن قلت : إن الروم أكرهوه على ذلك ، فلم تلزمه عقوبته ؛ وهو اختار الشرب
لنفسه فى هذه الساعة الواحدة ، فلذلك لزمته العقوبة .

قلنا : فقد لزمك الآن أن ليس علم الله ، عز وجل ، يثيبُ العباد ولا يعاقبهم ، وإنما
يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بأنفسهم ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِن أَحْسَنَتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ۞ ﴾^(١) .

وبطل قولك ، أنت وأصحابك ، فى اعتلالكم علينا بعلم الله ، جل ثناؤه ، أن من

(١) سورة الإسراء : الآية ٧ .

قبل علمه ، كان الفساد عليهم فى أديانهم ، وأن بالعلم ضلوا ، زعمتم ، وهلكوا ، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

والواجب على من سمع كتابنا هذا ، أن ينعم النظر فيه ، وليذكر وقوفه بين يدى الله ، عز وجل ، فأى القولين كان الحجة فيه أغلب وأوكد ، وأقوى فى كتاب الله عز وجل ، فليتبع الحق من ذلك ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، والحمد لله رب العالمين .

احتج الجبر بقوله : ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١)

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١) ، ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٠) ، (٢) ، وأشبه هذا فى كتاب الله ، عز وجل ، وليس لهم فى وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة .

فالزم كل مسألة (٣) على وجهها ومعناها وحدها ، فإنهم لن يفيدوا لك حينئذ وجهاً ، خالفوا فيه العدل ، وسنردهم إلى قولك ، أو تنكسر عليهم وجوههم التى وضعوها ؛ لأنها جاءت من غير الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى وتفسير قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١) :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله (عليه) (٤) ، وعلى آبائه الطاهرين .

١ - وسالت عن قولك الله ، عز وجل : ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١) ، وظننت لجهلك باللغة ، وعجزك عن العلم بتصريفها فى اللسان العربى عند العرب ، الذين خاطبهم رسول الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وسلم ، وذلك قول الله ، جل ١٣٠ ط / ثناؤه ، : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ / قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٥) ، وقال :

(١) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٠ .

(٣) فى الاصل : مسئلة .

(٤) ليست فى الاصل .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٤

﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ﴾^(١)، وقال الله ، عز وجل ، يحكى عنهم يوم القيامة : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٢)، يعنى ، تبارك وتعالى ، وبذلك كانوا لا يبصرون الحق ، ولا يميلون إليه بقلوبهم ، ولا يريدونه بشئ من حواسهم ، ولا يصفون إليه بأذانهم ، ولا يريدون أن يسمعه باختيارهم ، وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه ، وهم فى ذلك يقدرّون أن يسمعوا وينصتوا إليه ، لو أرادوا ؛ لأن الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، لم يحل بينهم وبين الاستماع ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿وَقَرَأَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصِصِرُونَ﴾^(٣) ، وفى موضع آخر : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ...﴾^(٤) ، يعنى ما أسمعهم وما أبصرهم مثل ما تقول العرب ، اكرم بفلان . أى : ما اكرمه ، وقوله ، عز وجل ، يعنف الكفار ويعجب نبيه ، عليه السلام ، من كذبهم : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾^(٥) ، فلو كان فى آذانهم وقْر ، لم يسمعوا دعاء النبى ، صلى الله عليه ، لهم إلى الاسلام ، ولم يجز أن يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول ، وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم ، فهذا أوضح شاهد عليك .

وقال الله ، عز وجل ، فى أهل النار : ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٦) ، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية ، أهل النار لا يسمعون ، عندكم أيها المغيرة ، فهو خير لهم أن لا يسمعوا ما فيها من البلايا والأهوال ، والأصوات المنكرة والمكروهة ، وأصوات السلاسل والأغلال ، وفيها من الانكال .

فإن قلت : إنهم فيها لا يسمعون . وحققت ذلك ، لأن يجوز كذلك ... اكذبك الله ، جل ثناؤه ، فى القرآن المبين ، حيث يقول ، يوجب أن أهل النار يسمع بعضهم بعضاً ، فقال : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٩٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٣٨ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

(٦) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْكَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ
صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ ﴿٢١﴾^(١)، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم
عن بعض ، ولو كان لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير .

وقوله : ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿١٠١﴾^(٢) ، وإنما يعنى بذلك أنهم لا يريدون
استماع الحق ولا الرغبة فيه ، ولم يستعملوا استطاعتهم فى طلبه ، كما قال ،
جل ثناؤه ، : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾^(٣) ، والله جل ثناؤه ،
لا يذكر بالآعين ، وإنما يذكر بالالسن ، وهذا دليل على أن القوم المجبرة ، إنما هلكوا
فى الدين من جهلهم ، بمعانى اللغة العربية ، وأعراضهم عن الأئمة الذين
١٣١ و / استخلفهم / الله ، عز وجل ، على عباده وبلاده ، وجعلهم ورثة لنبيه ،
صلى الله عليه وعليهم .

٢- ومن الحجة على ما قلنا فى معرفة اللغة العربية ، قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى^(٤)

يعنى بذلك الاحياء الذين لا يريدون استماعه ، ولا القبول عنه ، فقال : ولكن
لا حياة لمن تنادى ، وفيهم الحياة موجودة ، فافهم معنى اللغة العربية ، كيف
تتصرف .

ثم قال فى صفة سمع الميت الجائز عند العرب فى لغتها ، وما يروى عن قيس بن
عاصم التميمى ، ثم المنقرى^(٥) ، وهو الذى وفد على رسول الله ، صلى الله عليه ،
فقال رسول الله ، صلى الله عليه ، هذا سيد أهل الوبر ، فلما حضرته الوفاة دعا

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١

(٣) الآية نفسها .

(٤) البيت : لم أجده فى المصادر .

(٥) قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى ، ابو على : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة
فيهم . كان شاعراً ، اشتهر وساد فى الجاهلية . وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، وفد على النبى ، ﷺ ، فى وفد
تميم (سنة ٥٩ هـ) فأسلم ، وقال النبى ، ﷺ ، لما راه : هذا سيد أهل الوبر! .. واستعمله على صدقات قومه . ثم نزل
البصرة فى أواخر أيامه ، وروى أحاديث ، وتوفى بها نحو (سنة ٢٠ هـ) .. انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى
٢٠٦ / ٥ ، وكذلك الإصابة لابن حجر ت ٧١٩٤ ، وأخباره فى خزانة الادب للبغدادى ٤٢٨ / ٣ . وغيرها من كتب
التراجم والادب

بناته وخاصته ، فقال لهم : لا أسمع من يندبني ويبكي على بعد موتي ، فجاز هذا في لغة العرب ، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره .

لا أسمعك بعد الموت تندبني وفي حماي ما زودتني زادا
وقال عمارة بن عقيل التميمي ^(١) يحض قومه على المواصله ، وترك القطيعة .

فدونكما يا بني نزار تلاقيا كما لفق البرد الهماني بالبردي
ولا تسمعاني الزور في الهام هامتي ترا ميكما بالنبل ويحكما بعدي
فقال : ولا تسمعاني تراميكما بالنبل ويحكما بعدي ، وهو قد علم ، وعلمت العرب ، أنه لا يسمع بعد الموت ، ولكن جاز ذلك في لغة العرب ، التي لا يقوم بمعرفتها إلا أهل العلم .

ولما غلط هؤلاء المجبرة في دينهم ، فكذبوا على ربهم ، والزموه ذنوبهم ، وخلق أفعالهم لمهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ، ومعاني القرآن الذي خاطب به رسول الله ، صلوات الله عليه ، قومه الفصحاء البلغاء ، فافترت المجبرة على الله ، عز وجل ، وتاولوا كتابه على مبلغ عقولهم ، وتعلقوا بالمتشابه الذي لا علم لهم بتأويله ، وزعموا أنهم أتوا في ذنوبهم ، ودخل عليهم البلاء من قبل ربهم وكذبوا عليه ، سبحانه ، وزعموا أنا نحن المفترون عليه ، عز وتعالى .

السمع في الآخرة بين الحقيقة والجهاز

٣- ومن الحجة عليك في اعتلاك علينا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ ﴾ ^(٢) فنقول لك : ما تقول في قول الله ، عز وجل ، بخير عن أهل النار إذ قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠ ﴾ ^(٣) ، أتقول إن هذا القول على حقيقته لا ١٣١ ظ / مجاز له ولا تأويل فيه ، وتقول إنهم صم لا يسمعون / قليلاً ولا كثيراً ١٢٩ . .

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي البرهمي التميمي ، شاعر مقدم ، فصيح . من أهل الهذلي . كان يسكن بادية البصرة ، ويזור الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته ، وبقي إليهم الوافي . وعصى قبل موته ، وهو من أحفاد جرير الشاعر ، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفي سنة ٢٣٩ هـ . انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٣٧/٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠٠ .

أكذبك ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْتَنُونَ عَلَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ (٤٨) ﴿^(١) ، وليس بدًّا للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً ، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك .

٤- ومن الحجة عليك أن نقول لك . أخبرنا عن قول الله ، جل ثناؤه ، لنبيه محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حين قال له يعاتبه على إذنه للقوم الذين أذن لهم فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤٣) ﴿^(٢) .

فنقول لك : هل كان رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ١٩ ..

فإن قلت : نعم .. لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وبطل قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وصرت إلى الحق وهو قولنا .

وإن قلت : إن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم ، إلا مع الفعل ... لزمك أن الله ، عز وجل ، قد عاب عليه ، وعنفه في أمر ، لم يكن له عليه استطاعة ولا يقدره ، وهذا أعظم الجور ، وأردّه للقرآن ، إذ يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (٤) .

ثم نقول لك أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، لنبيه داود ، صلى الله عليه : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٥) . أليس قد قال ، عز وجل ، هذا القول لداود ، صلى الله عليه ؟

(١) سورة غافر : الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٥) سورة ص : الآية ٢٦ .

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل أمره الله من الحكم بالحق ، وترك الهوى ، بما يقدر عليه وهو يملكه ^(١) ، وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت : نعم .. تركت قولك ، وصرت إلى قولنا .

وإن قلت : لا لم يكن داود يستطيع الحكم بالحق ، ولا ترك اتباع الهوى ، إلا مع الفعل لذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، قد كلف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه ، وليس موجوداً في بنيته ، وإن قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ باطل لا يصح ، وليس له حقيقة .. وهذا اعظم الكفر ، والخروج من الإسلام جملة .

ثم كذلك يلزمك جميع ما أمرت الأنبياء من هذا النحو ، على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأم ، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت أنهم لا يستطيعون سماعاً ، على ما توهمت ، وذهبت إليه من الجبر والفرية على خالقك ، جل ثناؤه ، لما لزمهم الله ، عز وجل ، حجة ، ولا كانت عليهم له مطالبة ، إلا أن تقول : إن الأصم . / تلزمه الفرائض التي من طريق السمع ! ..

فإن قلت : كذلك .. أكذبك جميع أهل القبلة ، لأن الأصم لا حجة عليه في الفرائض ، التي هي من قبل الأمر المسموع من القرآن ، وغيره مما لا يدرك في الدين إلا من جهة السمع ، وكفى عليك بهذا القضاء ، فضيحة في دينك ، فقد بان خطاوك وغلطك ، فيما سألت عنه ، وذهبت فيه إلى الجبر ، وفارقت أهل العدل .

ولو كانوا لا يستطيعون سماعاً على ما ذهبت إليه ، لبطل قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ^(٢) ، ولا يجوز بعثة الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل ، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد ، وفيه الكفاية الكافية ، والحمد لله رب العالمين .

(١) في الهامش ما يدل على أن هذه النسخة مقابلة على أخرى أقدم منها .. وهذا يدل على أنها مقابلة أكثر من مرة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

العقد بعد انتهاء العدة:

٥ - ومن الحجة عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل، قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تَعْرُومُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ ﴾^(١) ، ألا ترى أنهم لو أرادوا النكاح ، قبل بلوغ الكتاب أجله ، لأمكنهم ذلك ، وإمكانه لهم ومقدرتهم عليه ، ووجوده فيهم قبل فعله .

افترض الله ، عز وجل ، عليهم أن لا يعزموا على النكاح ولا يفعلوه ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وهو وفاء العدة ، وبلوغ الأجل ، وهذا أقطع ما يكون لكم في قولكم أن الاستطاعة مع الفعل .

قصة ابني آدم :

٦ - ومن الحجة لنا عليك في الاستطاعة قبل الفعل قول الله ، عز وجل : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾^(٢) ، أفلا ترى أيها المغرور في دينه ، كيف أخبر الله ، عز وجل ، أن نفسه التي طوَّعت له قتل أخيه ، وأن الله لم يرد ذلك ، ولم يخلقه ، ولم يقدره ، وأن الاستطاعة مع كليهما ، موجودة قبل فعلهما ، مقرين بذلك مصدقين بها .

فنزل هذا القرآن ، غير مكذب بقول هذا لصاحبه « لاقتلنك » . لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، وقول الآخر : « ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك » . لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، فلذلك كَفَّ وتورَّع ، ولو كان يعلم أنه لا يقدر على ذلك ، لم يجز على الله ، جل ثناؤه ، أن يخبر عنه ويصوبه في فعل ما لا يقدر عليه ، والله ، عز وجل ، برئ من فعل الذي قتله ، لذلك صار القاتل ظالماً متعدياً ، إذ^(٣) لم يكف استطاعته عن الظلم ، واستعملها في الفساد ، وأمسك الآخر /

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٣) في الأصل : إذا .

١٣٢ ظ / ولم يعجل إلى القتل الذى له فيه استطاعة ، وهو له ممكن من قبل فعله ، وهذا خبر الله ، عز وجل ، وهذا كتابه ، ينطق بخلاف قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وفى هذه الآية من الحجة عليك فى إثبات العدل وبراءة (١) الله ، عز وجل ، من قتل مظلوماً .

قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٠) ، ولم يقل : فقضيت عليه قتل أخيه ولا إرادته منه ، ولا خلقت فعله ، وكان من ندامته أنه يحمله ، فيما يقال على عاتقه مائة عام ، لا يدرى كيف يصنع ، ﴿ قَبِعَتِ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَايُ سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٢١) ، ثم قال الله ، عز وجل ، على أثر هذا مثبتاً للعدل ، ومبرراً لنفسه من الظلم : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٢٢) ، أفلا نرى كيف ندم ابن آدم ، ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه ، وقد كان يمكنه قبل فعله ، ومستطيع لذلك ، ولذلك قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي ۚ ﴾ ، لعلمه أنه قد كان قادراً مستطيعاً أن يدفن أخاه ، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ ، ولا يجوز أن يخبر الله ، عز وجل ، بما لا يكون .

وكيف يتلطف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ، وكيف يحكى الله ، عز وجل ، خبراً لا يصح ولا يجوز فى العقول ، ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له ؟ ..

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ، ففيها كفاية لمن عقل ، والحمد لله رب العالمين .

(١) فى الاصل : مراءاة .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

أمر الله بالحجاب :

٧- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل ، قول الله ، عز وجل ، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾^(١) ، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن الاستطاعة قبل الفعل ، ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن ، لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن ، لم يفترض عليهن أمراً لا يقدرّون عليه ، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم العادل ، منفي .
وكذلك قوله أيضاً : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، فلم يكن ليأمرهم ، عز وجل ، ويفترض عليهم التوبة من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها ، ويمكنهم منها .

١٣٣و / وأكبر الشاهد لنا على / ذلك قوله ، عز قوله ، عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾^(٢) ، ويلومهم كما تسمع ، على ترك التوبة ، التي هي ممكنة لهم ، إن أرادوها . فهذا أكبر دليل ، وأقوى حجة : ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) .

أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان ؟! .. سبحانه الله العظيم .

الصبر عند اللقاء وعدم الإدبار:

٨- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل ، قوله عز وجل ، : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾^(١) ، فهذا يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل ، ولولا ذلك ما قال ، عز وجل ،

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٠١ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ١٥ .

﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَنْ حَرَفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦) ﴿١٧﴾، فلم يكن الله ليغضب عليهم ، فى امر لا يستطيعون إليه حيلة .

٩- ومن الحجة لنا فى إثبات العدل ، وأن الله ، عز وجل ، لم يعذب أحداً ، إلا بظلمه وجرمه ، وإثمه وغشمه ، وسوء اختياره ، قوله ، عز وجل ، : ﴿فَلَنِكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ (٢) ، ولم يقل : بما قضيت عليهم ، وقدرت وأردت .

وقد روى عن كعب الأحبار (٣) ، رحمه الله ، أنه قال : قرأت فى الكتب السالفة الأولى ، ومن يظلم يخرّب بيته ، فكنيت ذلك فينة من دهرى ، حتى بعث النبى محمدأ ، صلوات الله عليه وعلى آله ، فلما سمعت به سرت إليه ، وأسلمت وأقمت عنده ، وتصفحت ما نزل عليه من القرآن ، وطلبت نظيراً لتلك الآية التى وجدتھا فى السوراة ، فلم أجد ، فبينما أنا على ذلك ، إذ نزل عليه ، صلوات الله عليه ، هذه الآية ﴿فَلَنِكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ (٤) .

فالله ، عز وجل ، لا يواخذ أحداً من جميع خلقه ، إلا بعد ظلم وذنّب بدأ به هو ، واكتسبه واختاره بعد النهى عنه والدعاء الى غيره من الطاعة ، ولم يرد منهم ، عز وجل ، أن يكفروا ولا أن يدبروا أمره ، ألا تسمع الى قوله نوح ، صلى الله عليه ، : ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ : اسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) ﴿١٠﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٢) ﴿١٣﴾ ، ثم كان من ردهم عليه ، أن قالوا : ﴿لَا تَذَرُنَا آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٢) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(٣) كعب الأحبار هو : كعب بن ماتب بن ذى هجن الحميرى ، أو إسحاق : تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى دولة عمر ، فآخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من اخبار الامم الغابرة ، وآخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص ، وتوفى فيها سنة ٣٣٢ هـ ، عن مائة وأربع سنين . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢٢٨/٥ ، وكذا حلية الاولياء لآبى نعيم ٣٦٤/٥ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٤٠٥/٣ .

(٥) سورة نوح : الآيات ٧ - ١٣ .

الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ (١)، أفلا تسمع إلى هذه القول العجيب ، والحكمة البالغة ، وأين هذا من دعواك يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وأخوانك المجبرة ، الذي أسندت فيه إلى خالقك ، جل وتعالى ، أنه أراد الكفر من الكفار ، جراءة على الله ، جل ثناؤه ، ١٣٣ ظ / وتعامياً عن كتابه ، ومكابرة للعقول ، وميلاً إلى / تقليد الرجال ، بلا حجة ولا بصيرة ، ولا شاهد من كتاب الله ، عز وجل ، إلا ما تعلقت به من متشابه القرآن الذي جهلت تأويله ، فقد علمت ما ورد عليك في كتابنا هذا ، من الكسر لحجتك ، واستشهاد القرآن عليك ، والحجة الواضحة التي لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً.

الراسخون في العلم والتأويل :

وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) (٢).

فقال قوم : إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل الكتاب .. جهلاً منهم ، وبلى (٣)، لعمر الله ، إن الراسخين ليعلموا تأويل الكتاب ، (وما) تحتاج إليه الأمة من أمر دينها ، الذي تعبدها الله ، عز وجل ، به ، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم ؛ لأن من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ في العلم ، وإن لا ، ففيمارس رسوخ إذا لم يعلم تأويل القرآن ١٩ .. فأولئك هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، والراسخون في العلم ، هم أهل التنزيل والتأويل .

العلم في آل بيت رسول الله :

ولو لم يكن عندهم علم الكتاب ، لما جاز أن يقول الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) (٤)، والذكر فهو محمد ، صلى الله عليه

(١) سورة نوح : الآيات ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) في الأصل : وبلى .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٣ .

وعلى آله وسلم ، دليل ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ (١) رسولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴿ (٢) ، فصار الذكر هو الرسل ، وهذا ما لا يُدفع ، فصار أهل البيت ، عليهم السلام ، هم المأمور الخلق بسؤالهم ، ولم يكلفوا أن يسألوا عبد الله بن يزيد البغدادي ، ولا عبد الرحمن بن خليل ، ولا عبد الكريم بن نعيم ، ولا مسلمة بن كريمة ، ولا عبد الصمد ، ولا المعلم ، ولا نجدة بن عامر ، ولا أبا مروج السدوسي ، ولا فلاناً ، إلا أن يدعى عبد الله بن يزيد البغدادي ، أن (٣) هؤلاء النفر الذين سمينا أن جبريل ، صلوات الله عليه ، كان يهبط على جددهم ، وفي بيوتهم قد ربوا بين التنزيل والتأويل ، وغذاهم الرسول ، وناغاهم جبريل ، وتنزيل فيهم من الله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا... ﴾ (٤) ، فإن صح ذلك فهم أولى وأحق ؛ وإن لم يصح ، فغيرهم أولى بالمقام ، وأحق بالذنب (٥) عن الإسلام ، والقيام بالاحكام منهم .

فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادي على مسائله ، والحمد لله .

وصية الإمام بنشر الكتاب ،

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه وعلى آبائه ١٣٤ و / الطاهرين / ومن وصل إليه من هذا الكتاب ، فلم يوضحه للناس ، ويبينه للمسلمين ؛ فهو في أعظم الحرج حتى يكون الله ، جل ثناؤه ، هو المطالب له يوم القيامة ، بما كنتم من الحق ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠) ، والله ، عز وجل ، حسيب من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْصَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) ، وصلى الله على سيد المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وعلم المهتدين ،

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ - ١١ .

(٢) في الأصل : د و .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٤) الدفاع والتصدى لأعدائه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) هذا آخر رد المؤلف على عبد الله بن يزيد البغدادي المهر ، وبليه رسالته في الرد على المهرية في اعتقادهم عن إبليس ووساوسه . وقد نشرناها مع مؤلفنا «إبليس بين الحقيقة والوهم» بمد تحقيقها والتعليق عليها .

وخيرة رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الأمين الصادق على الله ،
جل ثناؤه ، والمستضيء بكتابيه ، والتابع لأمره ، حتى مضى صابراً محتسباً ناصحاً ،
فصلوات الله عليه ، وبركاته ، ورحمته عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار ،
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

انتهى كتاب النجاة

المحقق

إمام عبد الله